

الاستضعاف و الاستكبار و صدام الحضارات

الأستاذة صاري رشيدة - قسم الفلسفة - جامعة وهران - الجزائر

إذا تأملنا تاريخ البشرية لوجدناه كل مرة يطرح مقولة العلاقة بالآخر الحضاري فهل علينا التفتح لمواكبة العصر أم ينبغي أن نغلق على أنفسنا الأبواب حتى لا يتمكن هذا الآخر من اختراقنا في منظومتنا القيمية وخاصة أن هذا الآخر الحضاري دائما يحاول الهيمنة والسيطرة الحضارية على قيمنا وقدراتنا وتراثنا حتى يذوب الأنا ويصبح تحت لواء الآخر.

مشكلة صدام الحضارات موضوع شغل المثقفين والمفكرين وغيرهم وكتبت تعليقات وردود أفعال كثيرة ضد صاحب الفكرة صمويل هانتنغتون فهي تتحدث عن المستقبل وتحذر بخطر المواجهة كما تتحدث عن الإنسان وعلاقته بالآخر، وفيم يتمثل مغزى وجوده في العالم ؟.

والمرحلة الراهنة تدفع المفكرين إلى الاهتمام المتزايد بمشكلة الإنسان وهؤلاء يحاولون أيضا أن يضعوا تصوراتهم بالنسبة للمجتمع المقبل وأن يتنبأوا بمصير الإنسان والحضارة البشرية في المستقبل.

ومن هنا نستخلص أن المشكلة السياسية هي في حد ذاتها مشكلة اجتماعية، أخلاقية لأنها تتعلق بمشكلة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ذلك أن الإنسان يجد أن حقوقه مهددة بالخطر من طرف الإنسان نفسه لتعارض وتزاحم المصالح بينهما ولأن هناك آمال ورغبات يحملها هذا الإنسان، من هنا سينشأ التسابق والإخلاف والصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان.

إذا رجعنا إلى الإنسان نرى أنه يحمل دوافع فطرية غريزية تتصارع وتتزاحم في توجيه الإنسان هذه الوجهة أو تلك، ويقوي بعضها على بعض فينتج

التصدي ومن هنا فالصراع بين الإنسان والإنسان هو انعكاس عن الصراع الذاتي في الإنسان أي في التركيبة الذاتية للفرد هذا ما يؤكده القرآن الكريم⁽¹⁾ .
" ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه "⁽²⁾.

وساهم هذا الصراع في تعميق المشكلة واتخاذ بعد آخر حيث انعكست المشكلة على مجال الحكم والسلطة وهنا تبلورت المشكلة السياسية والصراع على أو مع السلطة وعلى كيفية الحكم، تنعكس أيضا في دائرة أوسع وهي دائرة الأمم والشعوب أي الأمة مع الأمة الأخرى وهذا ما نطلق عليه اسم الصراع الدولي، فما هي إذن العوامل الأخرى التي تتدخل لغوص هذا الصراع وما موقف النظرية الغربية والنظرية الإسلامية من هذه المشكلة ؟.

ترجع النظرية الغربية الماركسية الصراع إلى العامل الاقتصادي الذي يمليه التناقض بين شكل الإنتاج وطريقة التوزيع وتفترض أن طبيعة الأشياء تفرض تضادا بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، ويولد هذا التضاد تضادا جديدا بين طبقتين في المجتمع.

الطبقة الأولى التي تحاول الحفاظ على علاقات الإنتاج القائمة لأنها تحفظ مصالحها، والطبقة الجديدة التي تطلب علاقات إنتاج وتوزيع جديدة تتوافق مع شكل القوى المنتجة التي تطورت عما قبل.

ومن هنا يتضح أن الصراع الطبقي هو اليد الخفية التي تحرك دولاب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكتب كارل ماركس (Karl Marx) في هذا الصدد قائلا : " إن العلاقات الاجتماعية ترتبط إرتباطا وثيقا بالقوى الإنتاجية

¹ صدر الدين القبانجي " علم السياسة الشركة العالمية للكتاب " الطبعة الأولى - لبنان 1997 - ص 46-47.

² سورة ق الآية 16.

فحين يحصل البشر على قوى إنتاجية جديدة تتغير طرق إنتاجهم وطرائق كسبهم وتتغير جميع علاقاتهم الاجتماعية " وتذهب الماركسية إلى أبعد من ذلك حين تعتبر أن التضاد الموجود بين (القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج) هو الأساس لكل الظواهر الإنسانية بما في ذلك الدين، الفلسفة، الأخلاق والثقافة...⁽¹⁾

فالبحث عن منبع الأفكار الاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية يكون في الاقتصاد قبل كل شيء ذلك لأن الناس حسب كارل ماركس يكونون علاقات محددة، ضرورية مستقلة عن إرادتهم وتقابل علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم الإنتاجية المادية ومجموع هذه العلاقات يكون البنية الاقتصادية للمجتمع والأساس الواقعي الذي يقام عليه الصرح القانوني والسياسي.

ويرى ماركس أن : " طريقة إنتاج الحياة المادية تسيطر عموما على تطور الحياة المجتمعية والسياسية والعقلية، ليس شعور الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل العكس إن وجودهم المجتمعي هو الذي يحدد شعورهم، إن القوى الإنتاجية المادية تدخل عند درجة ما من تطورها في صراع مع علاقات الإنتاج القائمة⁽²⁾.

وفي نفس السياق يقول أيضا أن التقدم وتطور الإنتاج المادي هو الذي يحدد ويعين تقدم المجتمع بوجه عام، ومن هنا يتضح أن تطور قوى الإنتاج هو المعيار الأساسي للتقدم الاجتماعي وبناء على ذلك فإنه لا ينبغي أن نحكم على حقبة تاريخية معينة من خلال وعيها، إذ أن الوعي الاجتماعي للبشر أي أفكارهم العلمية والدينية والأخلاقية والسياسية تتحدد تبعا لوجودهم الاجتماعي، ليس وعي

¹ صدر الدين القبانجي " علم السياسة " ص39.

² Karl Marx « l'onttribution a la critique de l'économie in)
œuvres choisies OP » Tome 2 P18-19.

الناس هو الذي يحدد وجودهم بل على العكس إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم⁽¹⁾.

يبدو من هنا أن التفسير الذي يقدمه ماركس ما هو إلا تفسير مادي وهو أحد أسس النظرية الماركسية التي ترى أن العلاقات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية في الجماعة إنما تحددها طريقة الإنتاج في تلك الجماعة بل أن شعور الإنسان (الفرد) يتيه ويغيب في ظل الجماعة (لأنه تابع للعامل الاقتصادي) فالوجود المادي سابق على الوجود الفكري والروحي.

من هنا نستخلص أن الاشتراكية أهملت البعد الروحي والأخلاقي والإنساني وأن الصراع السياسي بكل أشكاله الأنفة الذكر هو انعكاس للصراع الطبقي، صراع بين الطبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج والطبقة التي لا تمتلكها وهذا الصراع ينعكس أيضا على الأمة.

والحل حسب النظرية الماركسية يكون بالقضاء على الطبقة، لأنه مع زوال الطبقة في داخل الأمة يزول الصراع السياسي، ومع زوال الصراع السياسي في داخل كل أمة زال التراع السياسي بين الأمم.

وفي الطريق إلى هذه النتيجة أي المجتمع اللاتبقي لا بد من المرور بمرحلة ديكتاتورية العمال (البروليتاريا) التي ستوحد المجتمع في طبقة عمالية واحدة فيها تصبح وسائل الإنتاج كلها بيد الدولة وتنعدم بذلك ظاهرة الملكية الخاصة.

(¹ Ibid P :10

وانظر أيضا فيصل عباس " الفلسفة والإنسان " دار الفكر العربي - الطبعة الأولى - بيروت 1996، ص19.

وينظر كارل ماركس إلى الدين والعائلة والدولة والقانون والأخلاق والعلم والفن على أنها سوى ألوان خاصة من الإنتاج وهي تخضع لقانونه العام، فهو يفسر كل الأشياء بتفسير مادي ولا يعطي قيمة للبعد الروحي والأخلاقي.

في نفس السياق يتجه المذهب البورجوازي أو الرأسمالي الذي يؤكد على الملكية الخاصة ورأس المال الذي هو مصدر الإنتاج وهذه الملكية في الحقيقة تستبد وتحكم لأن الرأسمالي الذي يملك لا يسمح بالوصول إلى مرحلة يتزل فيها إلى مستوى العالم الذي لا يملك بل هو يعمل على إبقاء الطبقة (الاجتمع الطبقي المكون من الأجراء والرأسمالي أو الغني والفقير).

من هنا نستنتج أن النظام الرأسمالي يؤكد أيضا على الجانب المادي ولا يعطي قيمة للجانب الروحي فالإنسان في ظل هذا المجتمع يواجه الخواء الروحي أي الجانب الأخلاقي مهممل وإذا غابت هذه الأخيرة ذهبت إنسانية الإنسان وجماليات الروح. وذلك لأنها تؤكد على المنفعة ولا تدعو لتغييرها بل هي الأساس ولا تحاول بث روح الإيثار، الإنفاق والتعاون أو التقليل من جمع الأموال بل يؤكد فقط على الثروة الشخصية والعمل على زيادتها مبررة ذلك أن هذه الثروة هي التي تتيح للأغنياء تطوير ميادين الحياة، وهذا ما أكدته دوفر جي حيث قال:

" أن إنقسام خبرات الأغنياء لن يبدل حالة الفقر، على حين أن ثروات الأقلية (الغنية) تتيح لها أن تنمي الفن والثقافة والعلم والمدينة وأن تحفظ بذلك تقدما للبشرية بأسرها"⁽¹⁾. إنها تنظر للفقير نظرة إحتقار وتحاول السيطرة على الشعوب المستضعفة، فالأزمة التي تعانيها البشرية هي التقدم الذي وصلت إليه فكلما تقدم الإنسان في عمله تطورت في المقابل مصادر قلقه وخوفه وأصبحت القيمة الكبرى هي الكسب. ذلكم هو الآلة المهيمنة على حياتنا، كما يقول (ديزاكوايكيديا) "

⁽¹⁾ صدر الدين القبانجي " علم السياسة " 57.

فالإنسان التي تسيّره الآلة على صورتها ومثالها يكاد يفقد عافيته واستقلاله وذاكرته التي تصير آنية⁽¹⁾.

وبهذا يكون التقدم المادي الذي ينتجه العالم الغربي يحمل بذور الأزمة والشروع التي تعاني منها البشرية، بما فيها المجتمعات التي صنعت هذا التقدم، إذ أن التقدم بمجالاته المادية الواسعة، لم يصبح هو الطموح النهائي للإنسان، إذ سرعان ما ظهرت في حياة الإنسان تطلعات وأمنيات وحاجات عقلية وروحية بحاجة إلى إشباع وتلبية لمطلباتها⁽²⁾.

من هنا نقول أن المفكرين يرون أن الأزمة تكمن في سيطرة الآلة على الإنسان من جراء انفصال العلم والتكنولوجيا عن المنظومة القيمية والأخلاقية ذلك ما أشار إليه "ألكسي كاريل" في كتابه "الإنسان ذلك الجاهل" حينما يؤكد على أن الإنسان يجب أن يكون مقياسا لكل شيء، ولكن الواقع هو عكس ذلك فهو غريب عن العالم الذي ابتدعه... فاليئة التي ولدتها عقولنا وإختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا إنا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا...⁽³⁾.

فالتقدم الغربي اقتصر على نمو متزايد لنوع من العقلانية وحيد الجانب التقنية ونظام تقسيم العمل الاجتماعي بحسب المنظور الرأسمالي فكان انفصال العلم عن المعرفة بمعناها الأخلاقي والإنساني.

من هنا ليست الأخلاق وحضور قيمها الأساسية مرحلة تاريخية محددة، بل هو لحظة وعي وإيمان متجددة الحضور والفعالية تحتاجها الجماعات البشرية.

¹ محمد محفوظ " الإسلام الغرب وحوار المستقبل " المركز الثقافي العربي - الطبعة الأولى 1998، ص205.

² نفس المرجع، ص205-206

³ نفس المرجع، ص66-67.

وكتب "حليم بركات" حول المسألة قائلا : " ولا تقتصر سلبيات استعمال التكنولوجيا الحديثة على ترسيخ هيمنة القوى المتحكمة إنما في تعقيداتها السائدة تفرض قيما معينة على قيم أخرى مثل قيم التنافس على قيم التعاون، وقيم الإنجازات المادية على قيم الإنجازات الروحية والفكرية، والقيم التي تعطي السلع والأشياء والمقتنيات أهمية مركزية في الحياة اليومية فيها تهمش الإنسان نفسه، وقيم الأناية الفردية على القيم العائلية والمجتمعية... " ⁽¹⁾.

وتفترض هذه القيم لتبرر السيطرة الاستكبار على الآخرين، وفي الحقيقة أن هذه النظرة المادية للإنسان تعكس مشكلة الانحطاط الأخلاقي والعقلي ذلك لأن الفكر الغربي في جوهره لا يقر بغير المادة وحركتها ونظرته للإنسان هي نظرة ظاهرة وليست ماهية فالإنسان في الغرب مجرد ذرة اجتماعية وليس حقيقة متعالية متفردة بخصوصيات أخلاقية وعقلية.

كل هذا ينعكس في النظام الدولي الجديد الذي انفرد بدولة واحدة وهيمن على العالم ويؤكد ذلك محمد المسير إذ يقول: " مازال العالم يسير بعقلية المستعمر الغاصب الذي يريد أن يسود على العالم (السيطرة) وينبغي أن لا نخدع بهذه الحقيقة، والعالم اليوم عالم مادي وقائم على المصالح الاقتصادية والاستعمار الجديد، وبالتالي فالأمة الإسلامية إذا لم تكن على هذا المستوى ستضيع لأن إذا انتهى الخلاف بين الشرق والغرب فهو موجه الآن إلى الإسلام والمسلمين ⁽²⁾ (الغرب والإسلام بعد أن كان بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي).

¹ نفس المرجع، ص70

² زكي ميلاد " الفكر الإسلامي " مؤسسة الإنتشار العربي - الطبعة الأولى 1999، ص160.

وفي نفس السياق يقول الشيخ سيد بركة " نحن اليوم كبشر نعيش نهاية دورة حضارية من خلال ما يسمى بالنظام العالمي الحالي، لندخل والعالم دورة حضارية جديدة بنظام عالمي مختلف الدوافع والغايات، وبمناخ من القيم تختلف تماما عن هذا المناخ السائد. إن النظام الحالي نظام امبريالي استكباري قائم على ترتيبات متجددة دوما تضمن نهب وإلحاق الأطراف في العالم بالمركز (الأطراف هي الدول الضعيفة أما المركز فهو الدولة الرأسمالية) أي بشقيه الرأسمالي والاشتراكي، وكلما ضعفت قبضته على الشعوب والبلدان المستعمرة كلما تهدد وجوده من الأساس وهذا ما تحاول أمريكا باسم المعسكر الرأسمالي أن تتحاشاه، وذلك بإعادة إنتاج النظام الاستكباري، أي إعادة ترتيب العالم بأسره، خصوصا بعدما أخذت حركة الشعوب في المنطقة منحى يهدد التركيبة القائمة. فكان لا بد من التزول للميدان بأسلوب استعماري قديم جديد، وهو أسلوب القمع والإخضاع بالقوة¹، هذا النظام الجديد سيكون القيم البشعة للحضارة الغربية على اعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية هي آخر تمثيل لتلك الحضارة وتتمثل هذه القيم في الاستكبار والسيطرة والتخريب والعنف والنهب والقهر...، أي أنها تتجرد من القيم الأخلاقية المألوفة وباعتبارها دول احتكارية ستصادر حقوق ونعم الطبقات المقهورة المستضعفة وسيظل المجتمع شاهدا لأبشع أنواع الحرمان والفقير.

هذا ما يؤكد عليه "رونالد روبرتسون" حيث يرى أن عالمنا اليوم يعيش المرحلة الخامسة من العولمة والتي تتعلق (بالعلاقات الدولية) باعتبار أن (المرحلة الأولى مارست فيها أوروبا التوسع عبر الكشوفات الجغرافية بعصر نهضتها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، المرحلة الثانية ازدادت وثيرة نشوء الرأسمالية والنشاط الاستعماري في القرن السابع عشر، المرحلة الثالثة التي أدت إلى الثورة

¹ (نفس المرجع السابق، ص160.

الصناعية في القرن الثامن عشر حيث عظمت الإنجازات وهيمنت على الأسواق ودخل العالم مرحلة الاستعمار، المرحلة الرابعة هي مرحلة الصراع من أجل الهيمنة ثم مرحلة العولمة الراهنة ذات الطابع الأمريكي (الأحادي)⁽¹⁾.

وهذه العولمة الأمريكية المعاصرة تفترض السيطرة على العالم وتضع قيم مختلفة عن القيم المتداولة، فهي لا تعترف بمنطق التعارف بين الأمم والشعوب والأديان، ومنطق الحوار والمثاقفة الحضارية (Acculturation) ومنطق تقدير قيم الإنسان وإنما تستوي على منطق صدام الحضارات ونهاية التاريخ إنها تمضي لتفكيك الإنسان وجعله أداة ينشأ في كنف الإعلام الموجه وليس مؤسسات التربية والأخلاق إنها تنادي بالذاتية (Individualisme) في حياتنا الاجتماعية الخاصة وفي العلاقات الدولية فيصبح كل شيء مبررا. بمنطق المنفعة (pragmatisme) وترتبط بالنتائج العملية بغض النظر عن الأخلاق.

وأمام استبداد الأنظمة فقد تكون الهيمنة الأمريكية بتحدياتها وعلمانياتها وليبيراليتها وسوقها الحر مخرجا لكثير من الشعوب حسب ما يعتقد البعض ويأمله، غير أنه خلاص ملغوم ليس فقط بسبب الانحياز الأمريكي لإسرائيل وسعيها معا لترتيب الأوضاع في الوطن العربي والهيمنة عليه ضمن مصالحها ولكن بسبب النهج الأمريكي نفسه ومنظومته ومرجعياته الفلسفية⁽²⁾.

وهكذا أصبحت أمريكا في عصر العولمة المعاصرة بعد أن دخلت عصر التكنوترونيك (Technotronic) الذي وحد بين الثورة التكنولوجية في عالم الاتصالات والمعلومات والمواصلات مع الالكترونيك المسيطرة الوحيدة على العالم

⁽¹⁾ محمد أبو القاسم حاج حمد " الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن " دار الهادي - الطبعة الأولى 2004، ص32-33.

⁽²⁾ نفس المرجع ص34.

الذي بدا لها متقلصا وقابلا لأن تهيمن عليه لأنها تستمتع بالأحادية وهو هدفها الاستراتيجي.

لكن في ظل هذا النظام " يبدو الإنسان مصنوعا أكثر من كونه أصيلا " وحولت الإنسان إلى كائن عديمي يغذي آلة الإنتاج والاستهلاك وتغيب عنه القيم الروحية والأخلاقية، هذه هي السياسة الجديدة التي تمنع الشعوب من التنمية والبناء ومن التقدم الحقيقي " فهي سياسة إجهاض لكل محاولة للخروج من أسار الواحد ونزعته المطلقة وصارت هذه السياسة والاستراتيجية "(1).

هكذا نقول أن العالم اليوم يعاني من أزمات بحيث صارت كل تلك الأزمات عالمية تستدعي عالمية الحلول، إن هذا التصور المادي الخالي من القيم والأخلاق يستدعي التغيير، وهذا التغيير مهما يكن دور الفرد فيه فإنه يبقى مرتبطا بـ" يقوم أي مجموع أو بأمة.

" إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "(2).

إن نظرة الإسلام تختلف تماما عن هذه النظرة الغربية المسيطرة القائمة على العنف والنهب والقهر، فالقرآن الكريم على العكس من ذلك يؤكد على التكامل الأخلاقي والبعد الروحي وأعطى لإرادة الإنسان الدور الأساسي في الصراع. والإسلام بدأ بتحديد القيم الأخلاقية وترجمتها على الواقع واعتبر هذه القيم أساسية، مطلقة، وواقعية، صالحة لكل زمان ومكان ذلك لأن الدين واحد على طول التاريخ.

" إن الدين عند الله الإسلام "(3).

¹ محمد محفوظ " الإسلام الغرب وحوار المستقبل " ص 62-64.

² سورة الرعد الآية 11.

³ سورة آل عمران الآية 19.

فالنظرية الإسلامية لا تؤمن بتعدد الحل السياسي فعلاقة الإنسان بالإنسان يمكن أن تحكمها قواعد ثابتة لأن المشاكل التي تحيط بهذه العلاقة هي مشاكل ذات أسس ذاتية مشتركة وثابتة⁽¹⁾.

وتؤكد الرؤية الإسلامية على أن التكامل الأخلاقي هو الطريق إلى التكامل السياسي وهو الطريق إلى الوفرة، ولا يمكن أن تتحقق وفرة ما لم يتكامل الإنسان أخلاقيا.

والإسلام يدعو إلى قيام الدولة حيث وردت كلمة دولة بمعان مختلفة في القرآن الكريم وحتى الإسلام انتشر أولا بين العبيد والمستضعفين حيث أن نواة الإسلام الأولى تألفت من ثمانية مؤمنين وهم من المستضعفين الذين لا قبيلة لهم تحميهم لكن هؤلاء وبفضل الله سبحانه وتعالى أنشئوا الدولة الإسلامية.

قال تعالى : " ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين." ⁽²⁾.

فوحدة الخليفة تعني علميا وحدة السلطة السياسية ووحدة الدولة ممثلة في رأي واحد يقود الجماعة السياسية.

وأساس هذه الدولة هو العقيدة في الإسلام وهنا وضعت نصا في نسج العلاقات الاجتماعية والنظرة إلى الحياة والكون إنها تمتلك تصورا كونيا متميزا أنزل للناس أجمعين وليس إلى قوم أو فئة محددة وعلى هذا الأساس فهي تختلف عن الدول التي قامت في المجتمع الغربي إذ هذه الأخيرة ترى أن الأساس هو الغنيمة.

فالعقيدة للمؤمنين المسلمين ومن يشاء من غير المسلمين والدولة للجميع من مسلمين وغير مسلمين⁽¹⁾.

¹ صدر الدين القبانجي " علم السياسة، ص 63.

² سورة القصص الآية 5.

قال تعالى: " كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" (2).

والإسلام جاء بأفضل رؤية عن الإنسان تتكامل فيها الأبعاد المختلفة (الروحية والعقلية والمادية)، هذه الرؤية هي التي يحتاجها الإنسان لهذه الحياة في تحولاتها وتغيراتها وتطوراتها، وفي كل أزمنتها.

الإسلام جاء أيضا لكي يلي حاجات الإنسان في كل زمان ومكان ويجعل منه معاصرا وبصيرا في حياته التي استخلفه الله فيها بعد أن خلقه في أحسن تقويم. ومن المنجزات الحضارية التي حققها الإسلام أنه استطاع أن يجمع ويوحد الشعوب والأعراق واللغات والقوميات المختلفة والمتصادمة في أمة إسلامية واحدة مع ما بينها من فوارق وتباعد شديدين. " كما أن الإسلام صنع لهذه الأمة حضارة أعلت من قيمة الإنسان وكرامته وحملته مسؤولية الاستخلاف وساهمت بإنبعات حضارية استفاد منها العالم كله " (3).

ومن هنا نقول أن الإسلام هو الذي يستطيع أن يواجه الأزمة الحضارية في الأمة بعد أن فشلت وتراجعت الحضارات الغربية الأخرى. فالفكر العربي الإسلامي بإمكانه أن يمد الإنسانية بمفاهيم أساسية تساهم في بناء الأمة وفق مقاييس حضارية تأخذ بعين الاعتبار ضرورات المادة، كما تأخذ في الاعتبار أيضا ضرورات الروح والمسائل المعنوية (4). وبهذا نؤسس لعملية تفاعل حضارية بحيث نستفيد نحن من

¹ (وليد نويهب " الإسلام والسياسة " مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق - الطبعة الأولى 1994، ص 19-59.

² (سورة إبراهيم الآية 1.

³ (زكي ميلاد " الفكر الإسلامي " ص 68.

⁴ (محمد محفوظ " الإسلام الغرب وحوار المستقبل " ص 208.

منجزات الحضارة الغربية ونبرر نظامنا الأخلاقي والعقائدي أي تقديم للغرب الجانب الإنساني الذي تفتقده الحضارة المعاصرة.

إن الإسلام هو الوحيد الذي يستطيع أن يحدد وينهض مع كل ما تعرض إليه من صدام عنيف، وإقصاء وتشويه خلال قرون من الزمان لما يحمله من خصائص كالشمول والعموم.

نعني بالشمول أن الإسلام قد بين التصور السليم للحقائق الأساسية وعناصر العقيدة ودعائم الشريعة ومنهج الحياة المنبثق عن العقيدة كذلك تناول القرآن سائر أوجه النشاط الإنساني من عبادات أو معاملات أو أي نوع من أنواع الممارسات الإنسانية⁽¹⁾.

أما "العموم" فهو العموم في البشر كافة وفي الزمان والمكان فالإسلام لم يستهدف قوم محدد في وقت وبلد محدد بل هو نداء إلى البشرية كلها، وخطاب للإنسانية جمعاء، إن الإسلام ينظر إلى البشر على أنه وحدة واحدة على تنوع الأجناس والأنواع والوحدة الإنسانية هي حقيقة الإنسان والاجتماع البشري على تنوع الشعوب والقبائل، فالبشر كلهم قد خلقهم الله من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونساء ليصبح الناس شعوب وقبائل تسعى لبناء علاقات التآلف بينها بعد التعارف⁽²⁾.

قال تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"⁽³⁾

¹ طه جابر العلواني " الأزمة الفكرية ومناهج التغيير " دار الهادي - الطبعة الأولى 2003، ص114-115.

² المرجع نفسه، ص115-116.

³ سورة الحجرات الآية 13.

إن التعاون والتعارف هو الأساس في تصنيف الأمم حسب النظرية الإسلامية ويقول فيليب حتى " نسج الإسلام " قانون القبائل وألغى وحدة الدم واستعاض عنها بأخوة الدين (وحدة الدين) وأصبحت مسؤولية المؤمن مباشرة لا وسيط لها⁽¹⁾.

ويرى الجابري أن علاقات (الأمة غير علاقات القبيلة الأولى حسب القصد والثانية حسب النسب) والأمة لا تلغي القبيلة بل تتجاوزها، والمسلم ينتمي إلى الأمة (الدين) و(القبيلة) في آن واحد وانتشار الإسلام أدى إلى غلبة الأمة على القبيلة⁽²⁾.

ويفترض تصور النظام العالمي الجديد أن الأمة تنقسم إلى أمتين أمة متقدمة علميا وأخرى متخلفة، والحق الطبيعي للأمة المتقدمة يفترض أن تكون هي القيمة وذات الوصاية على الأمة المتخلفة بهدف السيطرة عليها واستعبادها. إنها سياسة استكبارية تعمل على توحيد وتوطيد أواصر الأمة المتقدمة من أجل السيطرة على العالم.

ومن هنا نقول أن الانتماء إلى أمة ما مسألة يتحكم فيها الإنسان ذاته تبعا لعقيدته وأخلاقه فلا الثورة والطبقة، اللغة والوطن هي التي تحدد للإنسان أية أمة ينتمي إليها.

¹ وليد نويهب " الإسلام والسياسة " ص84.

² محمد عابد الجابري "العقل السياسي العربي" - مركز دراسات الوحدة العربية - ط3، 2000 ، ص97.

ويؤكد الإسلام أيضا على جانب الحرية في الانتماء من حيث أنه يشعر دائما بأن الإنسان هو الذي يكتب بيده تاريخه ومستقبله ويحدد مسيرته في هذه الحياة، فهو وحده المسؤول عن ذلك⁽¹⁾.

" فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "⁽²⁾

إن الانتماء إلى أمة ما لا يتطلب العيش معها في حدود وأرض واحدة بل التوافق معها في الايديولوجية والأخلاقية هذا هو الشرط الأساس في الانتماء إليها، ومن هنا نقول أن الأمة يجب أن تكون مبنية على العدالة والمساواة والتآلف والتعارف بين الشعوب حتى تستطيع أن تستمر في الوجود والحل الذي يمكننا أن نقدمه للحضارة الجديدة هو الإسلام من أجل أن تستمد منه العناصر الخلقية والروحية تقاوم بها ضعف الأساس الأخلاقي المهيمن عليها والتقليل من النظرة المادية للأشياء.



¹ صدر الدين القبانجي " علم السياسة " ص 143.

² سورة الكهف الآية 29.